أغنيــة أم . . . . .

[محنة الإسلاميين في مصــر، ومحنة العراق كله، ومحنة المسلمين في كل مكان يصورها الشاعر في أغنية أم لوليدها الذي أعدم أبوه، ويتبع أسلوب التوريــة خوفاً من بطش الطغاة، فيتظاهر أنه يتحدث عن محنة العــراق سنة ١٩٥٩].

[نظمت هذه القصيدة في ١٩ مارس آذار

نَمْ يا صغيري، إنَّ هذا المهد يحرسهُ الرجاءْ
منْ مُقلةٍ سهرتْ لآلامٍ تثورُ معَ المساء
فأصوغُها لحناً مقاطِعُه تأجُّجُ في الـدماء
أشدو بأغنيتي الحزينةِ، ثمَّ يغلبني البكاء
وأمدُّ كفي للسماءِ لأستحثَّ خُطا السماء

نمْ، لا تُشـاركني المـرارةَ والمِحن
فلسَوفَ أُرضعكَ الجراحَ مع اللَّبن
حتى أنالَ على يديكَ مُنًى وهبتُ لها الحياه
يا من رأى الدنيا، ولكنْ لنْ يرى فيها أباه

* . * . * . *

ستمُرُّ أعوامٌ طوالٌ في الأنينِ وفي العذاب
وأراكَ يا ولدي قويَّ الخطوِ موفورَ الشباب

تأوي إلى أمٍّ محطمةٍ مغضَّنةِ[1] الإهاب[2]
وهناكَ تسألُني كثيراً عن أبيكَ وكيف غاب
هذا سؤالٌ يا صغيري قدْ أعدَّ له الجواب

فلئنْ حييتَ فسوفَ أسردهُ عليك
أو متُّ فانظرْ من يُسِرُّ به إليك
فإذا عرفتَ جريمةَ الجاني وما أقترفتْ يداه
فانثرْ على قبري وقبرِ أبيك شيئاً من دماه

غدُكَ الذي كنا نؤمِّلُ أن يُصاغَ من الورود
نسجوهُ منْ نارٍ ومن ظُلمٍ تدَججَ بالحديد
فلكلِّ مولودٍ مكانٌ بيَن أسرابِ العبيد
المسلميَن ظهورهمْ للسوطِ في أيدي الجنود
والزاكميَن أنوفهمْ بالتُربِ من طولِ السجود

فلقد وُلدتَ لكي ترى إذلال أُمه
غفلتْ فعاثتْ في دياجيرِ المَلَّمه
ماتَ الأبيُّ بها ولْم نسمعْ بصوتٍ قد بكاه
وسعَوا إلى الشكي الحزين فألجموا بالرعبِ فاه[3]

* . * . * . *

أما حكايتُنَا فمنْ لونِ الحكاياتِ القديمهْ
تلكَ التي يمضي بها التاريخُ داميةً أليمهْ
الحاكمُ الجبارُ، والبطشُ المسَّلح، والجريمة
وشريعةٌ لْم تعترف بالرأي أو شرفِ الخصومه
ماعادَ في تنُّورها لحضارةِ الإنسانِ قيمه

---

(١) مغضنة : مجعـدة .
(٢) الإهـاب : الجلد.
(٣) لعله يشير إلى إعدام قادة الإخوان المسلمين والتنكيل بهم.

الحـرُّ يعرُفُ مـا تريـدُ المحكمـة
وقُضـاتُهُ سلفـاً قد ارتشفـوا دمه
لا ترتجي دفعاً لبهتانٍ رماهُ بهِ الطغاه
المُجرمونَ الجالسونَ على كراسيِّ القضاه

حكموا بما شاءوا وسيقَ أبوكَ في أصفادهِ
قدْ كان يرجو رحمةً للناس من جلّادِهِ
ما كانَ ـ يرحمهُ الإله ـ يخونُ حبَّ بلادِه
لكنَّهُ كيـدُ المُـدلِّ بجنـده.. وعتـادهِ
المشتهي سفكَ الدماءِ على ثرى بغداده

كذَبوا وقـالوا عن بـطولتِهِ خيـانه
وأمـامنا التقـريرُ ينـطقُ بـالإدانـهْ
هذا الذي قالوه عنه.. غداً يُردِّدُ عن سواهْ
ما دمتُ أبحثُ عن أبٍّي في البلادِ ولا أراهْ

* . * . * . * . *

هو مشهدٌ من قصةٍ حمراءَ في أرضٍ خصيبهْ
كُتبتْ وقائِعُهُ على جُدرٍ مضرَّجةٍ رهيبهْ
قد شادَها الطُغيانُ أكفانـاً لعزتنا السليبهْ
مشتِ الكتيبةُ تنشرُ الأهوالَ في إثرِ الكتيبهْ
والناسُ في صمتٍ وقد عقدتْ لسانهمُ المصيبهْ

حتى صدى الهمساتِ غشاه الوهن
لا تنـطقوا، إن الجـدارَ لـه أُذنْ
وتخاذَلوا، والظالمونَ نعالُهُمْ فوقَ الجباهْ
كشياهِ جزارٍ، وهلْ تستنكرُ الذبحَ الشياه؟

* . * . * . * . *

لا تُصغِ يا ولدي إلى ما لفَّقوه وردّدوهْ
من أنهم قاموا إلى الوطنِ الذليلِ فحرروهْ
لو كانَ حقاً ذاكَ ما جاروا عليهِ وكبَّلوهْ
ولمارَموا بالحُرِّ في كهفِ العذابِ ليقتلوهْ
ولما مشوا للحق في وهجِ السلاحِ فأخرسوهْ

هذا الذي كتبُوهُ مسمومُ المذاقْ
لم يبقَ مسموعاً سوى صوتُ النفاق
صوتُ الذين يُقدسونَ الفردَ من دون الإلهْ
ويسبِّحونَ بحمدِهِ ويقدمونَ لهُ الصلاهْ

* . * . * . * . *

لا ترحَمِ الجاني إذا ظفرتْ به يوماً يداكْ
فهوَ الذي جلبَ الشقاء لنا، ولْم يرحم أباكْ
كمْ كان يهوى أن يعيشَ لكيّ يُظلِّل في حماك
فاطلبْ عدوَّكَ، لا يفتُكَ، تُرح فؤاداً قد رعاك
هذي مُناي وأمنياتُ أبيكَ فاجعَلَها مُناكْ

فإذا بطشتَ بهِ فذاك هو الثَّمن
ثمنُ الجراحاتِ المشوبةِ باللَّبن
وهناكَ أدركْ يا صغيري ما وهبتُ لهُ الحياه
وأقولُ هذا ابني، ولْم يرَ في طفولتِهِ أباه

* . * . * . * . *